اشكالية رسم الحدود في الفكر الصهيوني

سعيد تيّم

تثير مسألة مستقبل الحدود جدلاً واسعاً في المجتمع الاسرائيلي. ولا نكاد نجد موضوعاً من مواضيع الخلاف يستقطب بمثل ما يستقطب هذا الموضوع من شرائح اجتماعية متنّوعة. وهذا الجدل، الذي تزامن مع بروز الصهيونية السياسية، في اعقاب مؤتمر بازل، الذي عقد في السنوات الاواخر من القرن الماضي، ما زال متواصلاً، ولم يشهد لحظة انقطاع واحدة، ولو لفترة قصيرة. وقد اكتسب هذا الجدل أهمية خاصة، بعد انشاء اسرائيل على قطاع معيّن من ارض فلسطين؛ وازداد حدّة بعد ان اتسعت رقعة هذه الدولة لتشمل جغرافيّة فلسطين بكاملها مضافاً اليها اجزاء أخرى من اراضٍ لدول عربية مجاورة.

وفي خضمّ النقاش الدائر حول هذه المسألة، نلتقي بمجموعات ثلاث: الاولى تستند الى مأثورات دينية لرسم الحدود الواجب اعتمادها، والتي لا يجوز التنازل عنها لأنها «هبة الهية»؛ والثانية تجد في الحدود التي كانت قائمة من قبل، أيام الملوك الاول، ضالّتها فتجعلها قاعدة لمفاهيمها التي ترسّخت في اذهانها؛ والثالثة تبحث في معطيات جغرافية ـ سياسية تساعدها في ايجاد الحل الذي ما زال لغزاً تقف مجادلة في ادراكه وتحديد مضمونه. وربما نصادف، ايضاً، مجموعة أخرى تتنقل بين هذه الحظائر الثلاث، ولكنها تبقى هامشية، لانعدام الرابط فيما بينها.

وداخل هذه المجموعات الثلاث، التي هي محل دراستنا، فاننا نشهد مواقف، ومفاهيم، تبدو، ظاهرياً، انها في حالة تضاد وتناقض مع غيرها ممّا يجرى في هذا الاطار؛ ويتصور البعض ان هذا التنافر انما هو تعبير عن الابتعاد من المنابع الاصلية. ولكن البحث المعمّق، في هذا الجانب، يقودنا الى تغيير الرؤية، بحيث يبدو واضحاً، ان هذا الابتعاد انما هو، في حقيقة الامر، اقتراب من هذه المنابع التي غذّت، وما زالت تغذّي، تلك الافكار المطروحة. واذا ما قدّر لفكرة ناشزة ان تخرج لتحلّق بشكل انفرادي خارج بوتقتها المألوفة، فانها سرعان ما تسقط مشفوعة بالاعتذار، لتستقيم الامور من جديد.

ونحن، في هذه الدراسة، سنحاول استجلاء هذه المواقف من منظورها الديني، والتاريخي، والواقعي؛ نستعين، في كل ذلك، بالسياق التاريخي، لنميّز بين فترتين: الاولى ما قبل تشكل الدولة اليهودية كنظام سياسي يسعى الى الاعتراف به، وهي المرحلة التي استوعبت شخصيات محدّدة خلال النشاط الصهيوني الذي استفرد بتحديد السياسات المستقبلية لكيفية بناء الدولة من خلال هذه الشخصيات البارزة، ممّا جعل هذه السياسات ترتبط باسمائها وتمتزج بسيرتها الذاتية؛ والثانية ما بعد الاعلان عن قيام الدولة وتلك المرحلة التي اشتملت على تصورات ما زالت تتفاعل مع